بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج وذَكّر

الدكتور محمد خير الشعال

(الحلقة التاسعة)

((الأدب))

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أهلاً وسهلاً بكم في حلقة جديدة شفي برنامج (وذكر)، عنوان حلقة اليوم : ((الأدب)) .

قال الله تعالى في قرآنه الكريم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس : 9 – 10] والحديث عن النفس، فقد أفلح من زكى نفسه وقد خاب من دسّا نفسه بالموبقات والأخلاق السيئات، **وقال ربنا في آية أخرى:** ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [الأعلى: 14- 15] ففي الآية الأولى يقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾، وفي الآية الثانية: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾، الثانية : تزكى بنفسه، والأولى: زكى نفسه وزكى غيره.

إن هذا الدين أيها الإخوة وأيتها الأخوات الكريمات أمور ثلاثة: عقيدة وشريعة وأخلاق، من زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين، من زاد عليك في الأدب زاد عليك في القرب من حضرة الله تعالى، إن الله تعالى يحب مكارم الأخلاق ويكره سفسافها، **والنبي صلى الله عليه وسلم يقول** : ((**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاَقًا**)) [الترمذي]

مهما علوت بأخلاقك اقتربت من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، قد **قال له ربنا في القرآن الكريم** : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4]، هذه الآية فيها لفتات قوية جداً في وصف أخلاق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعدوا معي هذه المؤكدات الموجودة في الآي ، فقد أراد الله تعالى أن يؤكد لنا أن أخلاق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عالية جداً

فالآية تقول: وإنك، هذه الـ (إن) تفيد في اللغة العربية التأكيد، ثم قال الله تعالى: وإنك لعلى خلق عظيم، وهي جملة اسمية، والجملة الاسمية تفيد في اللغة العربية التأكيد، ثم إن الله تعالى قال : وإنك لعلى، لم يقل: وإنك ذو خلق عظيم، حلى على يفيد في اللغة العربية الاستعلاء، فأنت تقول: القلم على المنضدة، فهو فوقها، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قال له ربه: وإنك لعلى خلق عظي ، بمعنى أنك يا محمد تمكنت من الأخلاق الفاضلة، وسموت بالأخلاق الفاضلة حتى علوت هذه الأخلاق وكنت متمكناً منها، وهذا مؤكد ثانٍ، ثم إن الله تعالى قال : وإنك لعلى، فيها لام وتسمى هذه اللام (لام المزحلقة) هي تفيد التأكيد، ثم إن الله عز وجل وصف خلقه صلى الله عليه وسلم بالعظيم، وكلمة عظيم تتناسب مع قائلها، إنك لو أردت أن تعطي ابنك الصغير مبلغاً عظيماً بالنسبة له لأعطيته مائة أو خمسمائة فهذا الصغير رأى أن هذا المبلغ كبيراً وعظيماً لأنه صغير، لكن نفس المبلغ لو أعطيته لتاجر كبير لاستخف بك، فينبغي عليك أن تعطي هذا التاجر مليون أو مليار لأن كلمة عظيم تتناسب مع قائلها، فتخيلوا يا أيها الإخوة أن الله عز وجل يصف أخلاق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بأنها عظيمة ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ في هذه الآية خمس مؤكدات تؤكد أن أخلاق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عظيمة، نعم ألم تسمعوا سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه يقول : ((**خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنوات ، فما قال لي أف قط**)) [البخاري ومسلم] ما هذا الخلق العالي، كان يأتيه الرجل من الأعراب فيه فظاظة وفيه شدة وفيه غلظة يمسك بمجمع ثوب النبي صلى الله عليه وسلم ويجذبه إليه حتى يؤثر ثوب النبي صلى الله عليه وسلم في عنقه الطاهرة ثم يقول يا محمد أعطني من هذا المال الذي ليس هو مالك ومال أبيك، فإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم يبتسم لهذا الرجل ويعطيه مالاً، إن أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم أخلاق عظيمة، ثم في القرآن الكريم أيها الإخوة حديث طويل عن الأدب، حديث نظري وحديث عملي، واسمحوا لي أن أحدثكم في مقطع في حديث عملي في القرآن الكريم عن الأدب، سيدنا ابراهيم عندما سأله النمرود أن يصف له رب العالمين ماذا قال؟ دققوا بهذه الآيات التي تعلمونها لكن فيها ملحظ أقف معكم عليه، قال: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي

فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ* وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾ [الشعراء : 78 – 81] لو كان الكلام في غير القرآن لكان السياق أن يقول :

الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين والذي أمرضني فهو يشفين والذين يميتني ثم يحين، لكنه عليه وعلى سيدنا محمد أفضل الصلاة والسلام لما وصل إلى المرض الذي ظاهره ضيق وكرب وشدة قال: وإذا مرضت فهو يشفين، نسب المرض لنفسه ولم يقل الذي أمرضني فهو يشفين، الأدب أيها الإخوة يرفع المملوك حتى يجلسه في مجالس الملوك، الصحابة رضوان الله عليهم تعلموا من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الأدب، واسمعوا إلى سيدنا العباس رضي الله عنه يُسئل مرة فيقولون له وهو عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أكبر من النبي صلى الله عليه وسلم فيقولون له : (**يا عباس أنت أكبر أم النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال: هو أكبر مني وأنا ولدت قبله)** ، ما شاء الله، أدب في النطق، لم يشأ أن يقول أنا أكبر من النبي صلى الله عليه وسلم، قال هو أكبر مني ولكني ولدت قبله، سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرة كان يمشي في المساء يعسّ وشرطة العسس هي شرطة الليل، يعني يتفقد رعيته بالليل، شاهد من بعيد خيمة فيها ضوء أوقد بالنار، يعني أوقدوا ناراً داخل هذه الخيمة، اقترب من الخيمة يريد أن ينادي من فيها، فقال: (**يا أهل الضوء**) وكره أن يقول يا أهل النار، إنه الأدب الذي يرفع الإنسان ليجعله في مكانة عالية، وقد قال الصالحون: (**كاد الأدب أن يكون ثلثي الدين**)، وقالوا: (**من زاد عليك في الأدب زاد عليك في العقل**) وقالوا: (**حسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن**).

الآن: كيف لأحدنا أن يتخلق في الآداب العالية، كيف أتأدب بالآداب الرفيعة، كيف أحسن الأخلاق، كيف أزيد من مستوى رقي خلقي؟ سأقدم بين يديك نتيجة عملية لهذه الحلقة فيها أربع طرق تعينك على التحلي بالأدب، صغيراً كنت أم كبيراً، فقيراً كنت أم غنياً، رجلاً كنت أم امرأة، المهم أن تجتهد في هذه الأربعة لتزيد في آدابك، لأنك بالأدب تُرفع ولأن منع الأدب عن الإنسان يهبط به.

الطريقة الأولى التي تزيد فيها من آدابك وترفع بها من مرتبتك الأخلاقية:

اتخذ لنفسك معلماً مربياً مؤدباً حتى يريك رعونات نفسك:

لأن عادت الإنسان أنه لا ينظر في شروره وآثامه، يعتقد بنفسه كمالاً، إذا اتخذ لنفسه معلماً دله هذا المعلم على أخطائه، لأن المؤمن للمؤمن كالمرآة، يدله على عيوبه لأجل أن يمحوها ويضع بدلاً عنها أخلاقاً عالية.

الطريقة الثانية التي تعينك على اكتساب الأخلاق العالية:

اتخذ لنفسك صديقاً صدوقاً:

إذا فعلت خيراً زادك من فعل الخير، إذا نسيت فعل الخير ذكرك بفعل الخير، وأيضاً إذا فعلت سوءاً أو شراً أو نقصاً أو قلة في أدب قال لك: يا أخي لا تفعل فإن هذا لا يليق، ثم إنك بصحبته تتأثر فإذا كان أصحابك من أصحاب الأخلاق العالية صارت أخلاقك عالية، أما إذا كانت أصحابك من أصحاب الأخلاق السيئة فنخاف على أخلاقك أن تتدنى.

الأمر الثالث قبل الأخير لكي تزيد من مستواك الأخلاقي والتربوي :

جاهد نفسك:

الحقيقة يا إخواني أن النفس أمارة بالسوء فهي لا تحب أن تتأدب بشيء، ولا تحب أن تتخلق بشيء من الأخلاق الفاضلة، تحب أن تضحك كيف شاءت، تحب أن تتكلم كيف شاءت، تحب أن تستلقي في الأرض كيف شاءت، تحب أن لا تحترم أحد، تحب أن لا تقيم وزناً لأحد، تحب أن تنظر كيف شاءت، تحب أن تتفلت من كل الضوابط الأخلاقية لذلك أنت غالب النفس وخالف النفس، قال الشاعر :

وخالف النفس والشيطان واعصهما وإن هما محضاك النصح فاتهم
ولا تطع منهما خصماً ولا حكماً فأنت تعلم كيد الخصم والحكم

الأمر الرابع والأخير كيف تتخلق بالأخلاق الفاضلة وتزيد في آدابك :

سل الله تعالى أن يهبك الأخلاق الحسنة:

لقد كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يقول : ((**اللهم كما حسنت خَلْقِي فحسن خُلُقِي**)) [ابن حبان] وكان يقول أيضاً: ((**اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهديني لأحسنها إلا أنت ، واصرف عني سيء الأخلاق لا يصرف عني سيئها إلا أنت**)) [مسلم وأحمد]،

اللهم كما حسنت خلقنا فحسن جميعاً أخلاقنا، مرة جديدة في أُسرُّ كلما التقيت بكم، وألقاكم إن شاء الله تعالى في حلقة جديدة من ((وذكر)) والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.